

فتنة خلق القرآن

المؤلف: أحمد زكي صفوت

كانت المعتزلة تقول بنفي صفات المعاني عن الله تعالى — ومنها الكلام — لأن إثباتها يؤدي إلى التشبيه وإلى تعدد القديم ، وذلك يناقض التوحيد ، وكان من النتائج اللازمة لذلك أن قالوا بأن القرآن كلام الله مخلوق ، قال صاحب المواقف^(١) « قالت المعتزلة : كلامه تعالى أصوات وحروف ، لكنها ليست قائمة بذاته ، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ ، أو جبريل ، أو النبي ، وهو حادث » .

وليس المعتزلة أول من قال بخلق القرآن — كما أنهم ليسوا أول من أنكر الصفات — بل إن أول من عرف بالقول بخلقها الجعد بن درهم بدمشق ، (وهو مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية) وأخذ عنه ذلك القول جهنم بن صفوان الترمذي زعيم فرقة الجهمية الجبرية فقال بخلقها^(٢) ، إذ أن الجهمية تنكر الصفات .

وذكروا أن بشر بن غياث المريسي — وهو زعيم المريسية من فرق المرجئة — قال أيضا بخلق القرآن في عصر الرشيد ، ونهاه أبو يوسف عن ذلك فلم ينته ، فهجره وطرده من مجلسه ، وقال : لا تنتهي أو تفسد خشبة (يريد الصلب) ولما بلغ ذلك الرشيد قال : عليّ إن أظفرن الله به أن أقتله ؟ ، وظل بشر مختفيا طول خلافة الرشيد ، ولم يظفر به مع شدة طلبه له^(٣) .

(١) المواقف ج ٨ : ص ٩٢ (٢) شرح العيون ص ٢٠٣ (٣) وفیات الاعيان ج ١ : ص ٩١

وتبيين كذب المفتري ص ٣٤٥ والفرق بين الفرق ص ١٩٢

وذكروا أيضا أن حفصا الفرد — وهو من أكابر المجبرة — قال بذلك القول ، وأن الشافعي ناظره وكفّره .^(١)

وكان الناس في تلك المسألة في عصر الرشيد بين أخذ وترك حتى ولى المأمون فقال بخلق القرآن ، وكان من أشد نصراء الاعتزال ، وقد أظهر ذلك القول سنة ٢١٢ هـ ، وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس إلى مذهبه حتى قوى عزمه في السنة التي مات فيها (سنة ٢١٨ هـ) فحماهم على القول بخلقه ، وكل من لم يقل به عاقبه أشد عقوبة .^(٢)

ذكر الطبري أنه شخص من مدينة السلام سنة ٢١٥ هـ لغزو الروم ، واستخلف عليها حين رحل عنها إسحق بن إبراهيم بن مصعب ، ثم كتب وهو بالركة إلى نائبه ببغداد سنة ٢١٨ هـ كتابا في امتحان القضاة والمحدثين في ذلك ، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه بالركة ، وكان ذلك أول كتاب كتب في ذلك ، ونسخة كتابه إليه :

« أما بعد ، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم ، الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم ، ومواريث النبوة التي أورثهم ، وأثر العلم الذي استودعهم ، والعمل بالحق في رعيتهم ، والتشهير لطاعة الله فيهم ، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصرمته^(٣) ، والإقسط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومسته .

وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر ، من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظر له ولا رؤية ، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، ولا استضاء بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق — أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان

(١) تبين كذب المفترى ص ٣٣٩ (٢) تاريخ الطبري ج ١٠ : ص ٣٧٩ وحياة الحيوان الكبير

للدميري ج ١ : ص ١١٤ ، ١١٥ (٣) الصرية : العزيمة وقطع الامر ، والإقسط : العديل .

به، وَنُكُوبٌ^(١) عن واضحات أعلامه، وواجب سبيله، وَقُصُورُ أَنْ يَقْدُرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، ويعرفوه كنهه معرفته، ويفرّقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، ونقص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتدّكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا^(٢) مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أول، لم يخلقه الله ويُجِدْثه ويخترعه، وقد قال الله عز وجل «إنا جعلناه قرآنا عربيا» فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور» وقال عز وجل: «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق» فأخبر أنه قَصَصٌ لأمور أحدثه بعدها، وتلا به متقدّمها، وقال: «الر كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير» وكل مُحَكَّم مَفْصَّل، فله مُحَكِّمٌ مَفْصَّلٌ، والله مُحَكِّمٌ كتابه ومفصّله، فهو خالقه ومبتدعه. ثم هم الذين جادلوا بالباطل، فدعّوا إلى قوْلهم، ونسبوا أنفسهم إلى السُّنَّة، وفي كل فصل من كتاب الله قَصَصٌ من تلاوته، مُبْطِلٌ قوْلهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قوْلهم ونحلّتهم^(٣). ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغرّوا به الجهال، حتى مال قوم من أهل السُّمْتِ^(٤) الكاذب، والتخشع لغير الله، والتكشف لغير الدين، إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سَيِّئِ آرائهم، — تزيّنا بذلك عندهم، وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة^(٥) إلى ضلالتهم، فقُتِبَاتٌ بتركيبتهم لهم شهادتهم، ونفذت أحكام الكتاب بهم على على دغل^(٦) دينهم ونغل أديهم، وفساد نيّاتهم ويقينهم، وكان ذلك غايتهم التي

(١) أى عدول (٢) أطبق القرم على الأمر : أجمروا (٣) النحلة : الدعوى . (٤) السمت : هيئة

أهل الخير (٥) الوليجة : خاصتك ، أو من تتخذهم معتمدا عليه من غير أملاك (٦) الدغل : الفساد ، ونغل لأديهم كفرح : فسد في الدباغ

ليها جروا ، وإياها طلبوا في متابعتهم . والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقرلوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقنماها ؟

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ، ورءوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حظا ، والمخسوسون^(١) من الإيمان نصيبا ، وأوعية الجهالة ، وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه من أهل دين الله ، وأحق من يُستهم في صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عمى عن رشده وحظه من الإيمان بالله وبتوحيده ، كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته - أعمى وأضل سبيلا ، ولعمري أمير المؤمنين إن أجحى^(٢) الناس بالكذب في قوله ، وتخزص الباطل في شهادته ، من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وإن أولاهم برد شهادته في حكم الله ودينه ، من ردَّ شهادة الله على كتابه وبهت^(٣) حق الله بباطله .

فاجمع من بحضرتك من القضاة ، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته ، بمن لا يوثق بدينه ، وخلوص توحيده وبقينه ، فإذا أقرؤا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة ، فرهم بنص^(٤) من يحضرهم من الشهود على الناس ،

[١] خس نصيبه : جملة خبيثا فذا حقيرا (٢) أى أجدرهم ، يقال : هو حجي به كفى ، وحج كشيح وحجي كفى : أى جدير (٣) بهتة كنع : فذفه بالباطل وافتى عليه الكذب (٤) نصه : استقمى مسألته من النية .

ومسألتهم عن علمهم في القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يُقرَّ أنه مخلوق محدث، ولم يره، والامتناع من توقيعها عنده، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عمالك في مسألتهم. والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم، حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ.

وكتب المأمون إلى إسحق بن إبراهيم في إشخاص سبعة نفر، فأشخصوا إليه، فامتنعهم وسألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعا: إن القرآن مخلوق، فأشخصهم إلى مدينة السلام، وأحضرهم إسحق بن إبراهيم داره، فشهراً أمرهم وقولهم، بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث، فأقروا بمثل ما أجابوا به المأمون، نخلي سديلمهم، وكان ما فعل من ذلك إسحق بن إبراهيم بأمر المأمون (١).

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحق بن إبراهيم:

«أما بعد، فإن من حق الله على خلفائه في أرضه، وأمنائه على عبادته الذين ارتضاهم لإقامة دينه، وحملهم رعاية خلقه، وإمضاء حكمه وسننه، والائتمام بعهده في بريته، أن يُسجدوا لله أنفُسهم، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم، ويدُّلُّوا عليه تبارك اسمه وتعالى، بفضل العلم الذي أودعهم، والمعرفة التي جعلها فيهم، ويهدُّوا إليه من زاغ عنه، ويردُّوا من أدبر عن أمره، وينهجوا لراعايهم سبيل (٢) نجاتهم، ويقفوه على حدود إيمانهم، وسبيل فوزهم وعصمتهم، ويكشفوا لهم عن مغطيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم، بما يدفعون الريب عنهم، ويعود بالضياء والبيضة على كافتهم، وأن يُؤثروا

ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذ كان جامعا لفنون مَصَانِعِهِمْ ، ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ، ويتذكروا ما الله مُرِصُّهُ (١) من مساوئهم عما مُحْمَلُوهُ ، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدّموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به .

ومما بيّنه أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره وجليل ما يرجع في الدين من وكفه (٢) وضرره ، ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم ، وأثرا من رسول الله وصفيه محمد ﷺ باقيا لهم ، واشتباهاه على كثير منهم ، حتى حُسن عندهم ، وتزّين في عقولهم ألا يكون مخلوقا فتعرّضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه وتفرّد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته ، وإنشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليّته التي لا يبلغ أولاهها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه ، وحداثاه المحدث له ، وإن كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق ، إذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » وتأويل ذلك إنا خلقناه . كما قال جل جلاله : « وجعل منها زوجها ليسكن إليها » وقال : وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا » « وجعلنا من الماء كل شيء حي » فسوّى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التي ذكرها في شية (٣) الصنعة ، وأخبر أنه جاعله ، وحده فقال : « إنه لقرآن مجيد في لوح محفوظ » فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط إلا بمخلوق ، وقال لنبيه ﷺ : « لا تحرك به لسانك لتعجل به » وقال : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث »

[١] أرصده : أعد ، وكافأه بالخير أو بالشر [٢] الوكف : العيب والاثم .

[٣] أى في حسناتها ، من وثى الثوب كوعده وشيا وشية . أى نقشه وحسنه .

وقال : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته » وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم أنهم قالوا : « ما أنزل الله على بشر من شيء » ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا وإيمانا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا ، فقال : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » وقال : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » وقال : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » وقال : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فجعل له أولا وآخرا ، ودل عليه أنه محدود مخلوق . وقد عظم هؤلاء الجهالة بقولهم في القرآن ، الثلم (٢) في دينهم ، والجرح في أمانتهم ، وسهلوا السبيل لعدو الإسلام ، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم ، حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده ، وشبهوه به ، والأشياء أولى بخلقه ، وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظا في الدين ، ولا نصيبا من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يُحِلَّ أحدا منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة ، ولا صدق في قول ولا حكاية ، ولا تولية لشيء من أمر الرعية ، وإن ظهر قصد (٢) بعضهم وعرف بالسداد مسدد فيهم ، فإن الفروع مردودة إلى أصولها ، ومحولة في الحمد والذم عليها ، ومن كان جاهلا بأمر دينه الذي أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلا ، وعن الرشد في غيره أعمى وأضل سبيلا ، فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق القاضي كتاب أمير المؤمنين بما كتب به إليك ، وانصصهما وعن عليهما في القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد لمن لم يُقرَّ بأن القرآن مخلوق ، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم

إليهما في امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق ، وأنصّبهم عن قولهم في القرآن ، فمن لم يقل منهم أنه مخلوق أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكما بقوله ، وإن ثبت عفافه بالقصد والصدق في أمره ، وافعل ذلك بمن في سائر عمالك من القضاة ، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة في بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك إن شاء الله » (١) .

فأحضر إسحاق بن إبراهيم جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين حتى فهموه ، ثم امتحنهم رجالا رجلا فتوقفوا عن الإقرار بخلق القرآن ، وكلهم يقول : « القرآن كلام الله » إلا نفرًا منهم ، وإليك بعض ما دار في مجلس الامتحان :

قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ قال : قد عرفت مقالتي لأمر المؤمنين غير مرة . قال : فقد تجد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول : القرآن كلام الله . قال : لم أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء . قال : هل القرآن شيء ؟ قال : هو شيء . قال : فخلق . قال : ليس بخلق . قال : ليس أسألك عن هذا . أخلق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك ، فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعة كانت بين يديه فقرأها عليه ووقفه عليها وفيها : « أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا ، لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه » قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا . فقال للكاتب : اكتب ما قال ، ثم قال لعل بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير

(١) كتاب بغداد ج ٦ : ص ٣٤٤ وتاريخ الطبري ج ١٠ : ص ٢٨٦ .

مرة ، وما عندى غير ماسمع ، فامتحنه بالرقعة فأقر بما فيها ، ثم قال له : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا . قال : هو كلام الله ، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، فقال للكاتب : اكتب مقالته . وسأل أحمد بن حنبل فقال له : ما تقول فى القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال : أخلق هو ؟ قال : هو كلام الله . لا أزيد عليها . فامتنه بما فى الرقعة ، فلما أتى إلى « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » وأمسك عن « لا يشبهه شيء من خلقه فى معنى من المعانى ولا وجه من الوجوه » قال له إسحق : ما معنى قوله : سميع بصير . قال : هو كما وصف نفسه ؟ قال : فما مثناه ؟ قال : لا أدري ، هو كما وصف نفسه .

وسأل ابن البكاء الألبكر ، فأجاب : القرآن مجعول لقول الله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » والقرآن محدث لقوله : « ما يأتينهم من ذكر من ربهم محدث » قال له إسحق : فالمجعول مخلوق ، قال : لا أقول مخلوق ، ولكن مجعول . فكتب مقالته .

وكتب مقالة القوم رجلا رجلا ، ووجه بها إلى المأمون ، فمكث القوم تسعة أيام ، ثم دعا بهم .

« يتبع »

أحمد زكى صفوت

فتنة خلق القرآن

« نشرنا النصف الأول من عاضرة الأستاذ صفوت في العدد الماضي من الصحيفة وعرفنا أن المأمون كتب رسالة لاسحاق في شأن العلماء الذين لا يقولون بخلق القرآن وأنه سألهم بما طالب الخليفة ، وكتب مقالاتهم وأرسلها إليه »

للمؤتاز احمد زكي صفوت

وقد ورد كتاب المأمون في أمرهم ونسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك — جواب كتابه كان إليك — فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو لرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول في القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، وإحلالهم محلهم ، تذكركم إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ممن كان يُنسب إلى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن ، والدلالة لهم على حظهم وإطباقتهم على نفي التشبيه ، واختلافهم في القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى في السر والعلانية ، وتقدّمك إلى السندی وعباس مولى أمير المؤمنين بمدّ تقدّمته به فيهم إلى القاضيين (١) بمثل مأمثل لك أمير المؤمنين من امتحان من يحضرُ مجالسهما من الشهود ، وبثّ الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك ، لتحميمكم

(١) يعني جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق .

وتمتحنهم على ما عهدّه أمير المؤمنين وثبّيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم، وفيهم أمير المؤمنين ما اقتضت.

وأمير المؤمنين يحمده الله كثيرا كما هو أهله، ويسأله أن يصلي على عبده ورسوله محمد ﷺ، ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته وحسن المعونة على صالح نيته برحمته، وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن، ومارجع إليك فيه كل أرى منهم وما شرحت من مقالتهم.

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفى التشبيه وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق، وادّعى من تركه الكلام في ذلك واستعجاده أمير المؤمنين، فقد كذب بشر في ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص، والقول بأن القرآن مخلوق، فادّعى به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصصه عن قوله في القرآن، واستتبّه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته؛ إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح، والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره وأمسك عنه، وإن أصرّ على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه وأبعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله.

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا، فإنه كان يقول بقوله، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ، فإن قال إن القرآن مخلوق وأشهر أمره واكشفه، وإلا فاضرب عنقه، وأبعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله.

وأما علي بن أبي مقاتل فقل له: ألسنت القائل لأمر المؤمنين إنك تحلل وتحرّم! والمكلم له بمثل ما كلمته به، بما لم يذهب عنه ذكره!

وأما الذِّيَال بن الهيثم ، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار ، وفيما يستولى عليه من أمر مدينة (١) أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله ، وأنه لو كان مقتفيا آثار سلفه ، وسالكا مناهجهم ، ومحتذيا سبيلهم لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه .

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوام وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن ، فأعلمه أنه صبي في عقله لا في سنته جاهل ، وأنه إن كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه إذا أخذه التأديب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل ومات كتب عنه ، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسيلته فيها ، واستدل على جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم ، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمهر ، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة ، وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله في ذلك ، فإنه من كان شأنه شأنه ، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه ؛ طمعا فيهما ، وإيثارا لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعلي بن هشام ماقال ، والمحالف له فيما خالفه فيه ، فما الذي حال به عن ذلك ، ونقله إلى غيره ؟

وأما الزيادة (٢) ، فأعلمه أنه كان منتحلا أولا أوّل دعوى كان في الإسلام ، خولف فيه حكم رسول الله ﷺ ، وكان جديرا أن يسلك مسلكه ، فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزيد ، أو يكون مولى لأحد من الناس — وذكر أنه إنما نسب إلى زيد لأمر من الأئمة .

وأما المعروف بأبي نصر التمار ، فإن أمير المؤمنين شبهه خساسة عقله بخساسة متجره .

(١) هي مدينة الهاشمية ، بناها السفاح بالكوفة .

(٢) هو أبو حسان الزبدي ، والدعي : المنهم في نسبه المنسوب إلى غير أبيه . والمراد زيد ابن أبيه

وأما الفضل بن الفَرَّخَان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله فى القرآن أخذَ الودائع التى أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحق وغيره ؛ تربصاً بمن استودعه ، وطمعاً فى الاستكثار لما صار فى يده ، ولا سبيل عليه عن تقادُّم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقل لعبد الرحمن بن إسحق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك مثل هذا وإيمانك إياه ، وهو معتقد للشرك ، منسلخ من التوحيد !
وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبى مَعْمَر ، فأعلمهم أنهم مشاغِلٌ بِأكل الربا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلَّ محاربتهم فى الله ومجاهدتهم إلاَّ لإربابهم وما نزل به كتابُ الله فى أمثالهم لاستحلَّ ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركاً ، وصاروا للنصارى مثلاً ؟

وأما أحمد بن شجاع ، فأعلمه أنك صاحبه بالامس ، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذى كان استحلّه من مال على بن هشام ، وأنه ممن الدينارُ والدرهمُ دينُهُ .

وأما سعدوية الواسطى ، فقل له : قبَّحَ الله رجلاً بلغ به التصنع للحديث والتزين له والحرص على طلب الرياسة فيه ، أن يتمنى وقت المحنة ، فيقول بالتقرب بها : متى يمتحن فيجلس للحديث .

وأما المعروف بسجادة وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه فى شغله بإعداد النوى وحكِّه لإصلاح سجادته ، وبالودائع التى دفعها إليه على بن يحيى وغيره — ما أذهله عن التوحيد وأهله ، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه إن كانا شاهداًهما وجالساَهما .

وأما القواريرى ، ففيمّا تكشف من أحواله وقبوله الرِّشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه ، وقد انتهى إلى أمير

المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسن^١ مسائله ، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه وترك الثقة به والاستنامة اليه .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه ، لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه ، وإنه بعد صبي يحتاج إلى تعلم .

وقد كان أمير المؤمنين وجهه إليك المعروف بأبي مُسْهِر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن ، فجمجم^(١) عنها ولجلج فيها ، حتى دعا له أمين المؤمنين بالسيف ، فأقر ذميا ، فانصصه عن إقراره ، فإن كان مقبلا عليه فأشهر ذلك وأظهره إن شاء الله .

ومن لم يرجع عن شركه — عن سميت لأمر المؤمنين في كتابك ، وذكره أمير المؤمنين لك ، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا — ولم يقل إن القرآن مخلوق بعد بشر بن الوليد ، ولإبراهيم بن المهدي ، فاحملهم أجمعين موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم ، حتى يؤديهم إلى عسكر أمير المؤمنين ، وتسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه ؛ لينصهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا ، حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله !

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُسْدارية^(٢) ، ولم يُنْظَر به اجتماع السكتب الخرائطية ، معجلا به ، تقربا إلى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما اعتمد ، وإدراك ما أمّل من جزيل ثواب الله عليه .

(١) الجمجمة : أن لا يبين كلامه كالجمجم (٢) : الخريطة وعاء من آدم وغيره يشد على ما فيه ، وبُسْدارية : نسبة إلى البسدار وهو التاجر الذي يخزن البضائع للغلاء — فهو كثير المال — والظاهر أن الخريطة البسدارية كانت تمتاز عن سائر الخرائط بمناة صنعها وإحكامها واتساعها لمقدار من النقود كبير ، وأظهره الآخر .

فأنفذ لما أتاك من أمير المؤمنين ، وعجّل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بندقارية مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله (١) .

وكتب سنة ٢١٨ هـ

فأجاب القوم كلهم حين أعاد القول عليهم إلى أن القرآن مخلوق إلا أربعة نفر ، وهم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريري ومحمد بن نوح ، فأمر بهم إسحق ابن إبراهيم فشدوا في الحديد فلما كان من الغد دعا بهم جميعا يساقون في الحديد ، فأعاد عليهم المحنة ، فأجابه سجادة إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده وخلي سبيله ، وأصر الآخرون على قولهم ، فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضا فأعاد عليهم القول ، فأجاب القواريري إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده وخلي سبيله ، وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما ولم يرجعا فشدا جميعا في الحديد ، ووجهها إلى طرسوس (٢) ، وكان المأمون قد خرج إليها غازيا فأدرسته منيته بها ، ومات ابن نوح في طريقه إليها .

واتفق أن مات المأمون قبل وصول ابن حنبل إليها (سنة ٢١٨) وعهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة ، وأوصاه أن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ، واستمر الإمام أحمد محبوسا إلى أن امتحنه المعتصم ، فأحضره وعقد له مجلسا للمناظرة ، وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي دواد وغيرهما ، فنظروه ثلاثة أيام ولم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع ، فأمر المعتصم بضربه بالسياط ، ولم يحل عن رأيه إلى أن أغشى عليه ، ونخسه عجينف (٣) بن عتبسة بالسيف ، ورمى عليه باريّة (٤) وديس عليه ، ثم حمل إلى منزله بعد أن ضرب ثمانية وثلاثين سوطا ، وكانت مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا .

(١) تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٩ (٢) مدينة بيلاد الأناضول بينها وبين أذنة (أطنة) ستة فراسخ (٣) هو أحد قواد المعتصم (٤) البارية : الحصار المنسوج

ذكروا أنه لما نوظر في الأيام الثلاثة كان المعتصم يخلو به ويقول له :
ويحك يا أحمد ! أنا والله عليك شفيق ، وإنى لأشفق عليك مثل شفقتي على
ابن هرون « يعنى الواثق » فأجبنى ، فوالله لئن أجبتنى لأطلقن غلك ييدى ،
ولأطائن عتبتك ، ولأركبن إليك بجندى ، فيقول : يا أمير المؤمنين ،
أعطونى شيئا من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ ، فإذا طال به
المجلس ضجر وقام وردّ أحمد إلى الموضع الذى كان فيه ، وتتردد إليه رسل
المعتصم يقولون : يا أحمد ، أمير المؤمنين يقول لك : ما تقولون فى القرآن ؟ فيرد
عليهم كما ردّ أولا ، فلما كان فى اليوم الثالث طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم
وعنده وزيره محمد بن الملك الزيات والقاضى أحمد بن أبى داود ، فقال المعتصم
كلموه وناظروه ، فلم يزالوا معه فى جدال إلى أن قالوا : يا أمير المؤمنين اقتله
ودمه فى أعناقنا ، فرفع المعتصم يده ولطم بها وجه الإمام أحمد ، فخرّ مغشيا
عليه ، فتمتعرت وجوه قواد خراسان — وكان عم أحمد فيهم — بخاف
الخليفة منهم على نفسه ، فدعا بماء ورش على وجهه ، فلما أفاق من غشيته رفع
رأسه إلى عمه وقال : يا عم لعل هذا الماء الذى رش على وجهى غصب عليه
صاحبه . فقال المعتصم : ويحكم ! أما ترون ما يتهجم به علىّ هذا ؟ وقرابتى من
رسول الله ﷺ لا رفعت السوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق . ثم التفت
إلى أحمد وأعاد عليه القول ، فردّ أحمد كالأول ، فلم يزل كذلك حتى ضجر
وطال المجلس ، فعند ذلك قال : عليك لعنة الله ! لقد كنت طمعت فيك قبل
هذا ، خذوه ، اخلعوه ، اسحبوه ، فأخذ وسحب ثم خلع ، ثم قال المعتصم :
السياط ، قال الإمام أحمد : وكان عندى شعرات من شعر النبي ﷺ قد
صررتها فى كم قميصى ، فجاء بعض القوم إلى قميصى ليحرقه ، فقال المعتصم :
لا تحرقوه وانزعوه عنه - وإنما درى عن القميص الحرق ببركة شعر النبي
ﷺ - وشدوا يديه فتخلعتا - ولم يزل أحمد يتوجع منهما حتى مات - ثم قال

المعتصم للجلادين : تقدموا ، ونظر إلى السياط فقال : إيتوا بغيرها ، ثم قال لأحدهم : أذمه^(١) وأوجع ، قطع الله يدك ! فتقدم وضرب سوطين ثم تنحى ثم قال لآخر : أذمه وشد ، قطع الله يدك ! فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ، ولم يزل يدعو رجلا رجلا فيضربه كل واحد سوطين ويتنحى ، ثم قام المعتصم وجاءه وهم محدقون به ، وقال : يا أحمد ، تقتل نفسك ! أجبني حتى أطلق غلك بيدي ، وجعل بعضهم يقول له : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم فأجبه ، وعجيف ينخسه بالسيف ويقول : أتريد أن تغاب هؤلاء كلهم ؟ وبعضهم يقول : يا أمير المؤمنين ، اجعل دمه في عنقي ، فرجع المعتصم إلى الكرسي ثم قال للجلاد : أذمه قطع الله يدك ! ثم جاء المعتصم إليه ثانيا وقال : يا أحمد ، أجبني ، فقال كالأول ، فرجع المعتصم وجلس على الكرسي ، ثم قال للجلاد : شد عليه ، قطع الله يدك ، قال أحمد : فذهب عقلي فعاقلت إلا وأنا في حجرة مطلق عنى ، كل ذلك وهو صائم لم يفطر ، وكان ذلك سنة ٢١٩ هـ على ما ذكره المسعودى . وروى ابن خلكان أنه ضرب في العشر الأخيرة من رمضان سنة ٢٢٠ هـ ، ثم وجه المعتصم رجلا ينظر الضرب والجراحات ويعالجه فنظر إليه وقال : والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط فما رأيت أشد ضربا من هذا ، ثم عالجه ، وبقي أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن مات سنة ٢٤١ هـ^(٢) . ولم يزل ابن حنبل بعد ضربه يحضر الجمعة والجماعات ويُفتى ويحدث إلى أن مات المعتصم (سنة ٢٢٧) هـ ، وولى الواثق فأظهر ما أظهره المأمون والمعتصم من المحنة ، وقال للإمام أحمد : لا تجمعن إليك أحدا ، ولا تسأكني في بلد أنا فيه ، فأقام الإمام أحمد مختفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات

(١) أى أسل دمه ، من ذم أنه وفن : إذا سال .

(٢) تاريخ الطبرى ١٠ : ٢٩٢ وتبيين كذب المفتى ص ٣٤٩ وحيا الحيوان الكبرى للدميرى

ج ١ : ص ١١٥ — ١١٧ ووفيات الأعيان ج ١ : ص ١٧ ومروج الذهب ج ٢ : ص ٣٤٨ .

الوائق (سنة ٢٣٢ هـ) وولى المتوكل، فكتب إلى الآفاق برفع المحنة، ومنع الناس من المناظرات في الآراء والمذاهب، وقرب منه أهل السنة، وأمر بإحضار الإمام أحمد وإكرامه وإعزازه وأطلق له مالا كثيرا فلم يقبله، وفرقه على الفقراء والمساكين، وأجرى على أهله. وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم، فلم يرض بذلك، ولم يحفل المتوكل بالمعتزلة فخذت نارهم، وتضاءل أمرهم (١).

ومن عضته هذه المحنة بانيها في عهد الواثق أبو يعقوب يوسف بن يحيى البُويطى (٢) المصرى صاحب الإمام الشافعى، دنى إلى القول بخلق القرآن فامتنع منه، فحمل - فيمن حمل - من مصر إلى العراق مقيدا حتى مات في قياده محبوسا صابرا على ما أصابه من الأذى وكان مقيدا إلى أنصاف ساقيه، مغلوله يده إلى عنقه. قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطى على بغل وفي عنقه غلّ، وفي رجله قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول: إنما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق « بكن » فإذا كانت « كن » مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا! فوالله لأموتن في حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت عليه - يعنى الواثق - لأصدقته، وقال الربيع أيضا: كتب إلى أبو يعقوب من السجن: إنه ليأتى على أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدنى حتى تمسه يدى، وتوفى سنة ٢٣١ هـ في القيد والسجن ببغداد (٣).

ومنهم نعيم بن حماد، وقد مات في سجن الواثق مقيدا أيضا (٤).
ومنهم أحمد بن نهر الخزاعى. قتله الواثق وصلبه سنة ٢٣١ هـ، ذكروا أن

(١) حياة الجوهان للميرى ج ١ ص ١١٥ — ١٢٢ ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٩

(٢) نسبة إلى بويط وهى قرية بصعيد مصر.

(٣) تبين كذب المقرئ ص ٣٤٨ ووفيان الأعيان ج ٢ ص ٣٤٧.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٥ ص ١٧٧.

ثُمَّ أَمَ بْنَ أَشْرَسَ سَعَى بِهِ إِلَى الْوَائِقِ ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ مِنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ يَنْكُرُ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَحْضَرَهُ الْوَائِقُ وَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : كَلَامُ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَخُلِقَ هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ كَلَامُ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَتَرَى رَبَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : كَذَا جَاءَتِ الرِّوَايَةُ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ ؟ يَرَى كَمَا يَرَى الْمَحْدُودَ الْمَتَجَسِّمَ ؟ يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَيَحْصِرُهُ النَّاطِرُ ؟ أَنَا أَكْفُرُ بِرَبِّ هَذِهِ صِفَتِهِ ، مَا تَقُولُونَ فِيهِ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ - وَكَانَ قَاضِيًا عَلَى الْجَنَازِ الْغَرْبِيَّ بِبَغْدَادَ فَعَزَلَ - هُوَ حَلَالُ الدَّمِ ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ كَمَا قَالَ ، فَأَظْهَرَ ابْنُ أَبِي دَوَّادٍ أَنَّهُ كَارَهُ لِقَتْلَهُ ، فَقَالَ لِلْوَائِقِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَيْخٌ مَحْتَلٌّ ، لَعَلَّ بِهِ عَاهَةٌ أَوْ تَغْيِيرُ عَقْلٍ ، يُوَخِّرُ أَمْرَهُ : فَقَالَ الْوَائِقُ : مَا أَرَاهُ إِلَّا مُؤَدِّبًا لِكُفْرِهِ ، وَدَعَا الْوَائِقُ بِالصَّمْصَامَةِ ، وَقَالَ : إِذَا قُتِلَ إِلَيْهِ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ مَعِيَ ، فَإِنِّي أَحْتَسِبُ خَطَايَا إِلَى هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي يَعْبُدُ رَبًّا لَا نَعْبُدُهُ ، وَلَا نَعْرِفُهُ بِالْصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّطْعِ فَأَجْلَسَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُقِيدٌ ، وَأَمَرَ بِشِدِّ رَأْسِهِ بِجَبَلٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْدُوهُ ، وَمَشَى إِلَيْهِ حَتَّى ضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَمَرَ بِحَمْلِ رَأْسِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَصَبَّ فِي الْجَنَابِ الشَّرْقِيَّ أَيَّامًا ، وَفِي الْجَنَابِ الْغَرْبِيَّ أَيَّامًا ، وَتَتَبَعَ رُؤْسَاءُ أَصْحَابِهِ فَوَضَعُوا فِي الْحُبُّوسِ ، وَلَمْ يَزَلْ رَأْسُهُ مَنْصُوبًا بِبَغْدَادَ ، وَجَسَدُهُ بُسِّرَ مِنْ رَأْيِ سِتِّ سَنِينَ ، إِلَى أَنْ حُطَّتْ وَجُمِعَ بَيْنَ رَأْسِهِ وَبَدَنِهِ (١) .

وَذَكَرَ الْبَغْدَادِيُّ فِي « الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ » أَنَّ ثَمَامَةَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ ، فَرَأَاهُ الْحَزْرَاعِيُّونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَزَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يَا آلَ خَزَاعَةَ ، هَذَا الَّذِي سَعَى بِصَاحِبِكُمْ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ وَسَعَى فِي دَمِهِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ بَنُو خَزَاعَةَ بِسُيُوفِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَخْرَجُوا جِيفَتَهُ مِنَ الْحَرَمِ فَأَكَلَتْهُ السَّبَاعُ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ .

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْوَائِقِ - وَهُوَ الْمَلْقَبُ

(١) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ١٥٩ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ج ٥ : ص ١٧٣ - ١٨٠ وَحَيَاةُ الْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ

بالمهتدى بالله قال : كان أبى إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضر ناذلك المجلس ، فبينما نحن ذات يوم عنده إذ أتى بشيخ مصفود مقبّد . فقال أبى : إيدنوا لآبى عبد الله يعنى ابن أبى دواد وأصحابه ، وأدخل الشيخ فى مصلاه ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له : لاسلم الله عليك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، بئس ما أدبك به مؤدبك ! قال الله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » والله ما حييتنى بها ولا بأحسن منها ، فقال ابن أبى دواد : يا أمير المؤمنين ، الرجل متكلم ، فقال : كله ، فقال : يا شيخ ، ما تقول فى القرآن ؟ قال : أنصفى (١) فى السؤال ، فقال له : سل . فقال الشيخ : ما تقول أنت فى القرآن ؟ قال : مخلوق ، فقال الشيخ : هذا شىء عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم والخلفاء الراشدون أم شىء لم يعلموه ؟ فقال : شىء لم يعلموه ، فقال : سبحان الله ! شىء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الراشدون ، تعلمه أنت ! فحجل وقال : أقلنى ، فقال قد فعلت ، والمسألة بحالها ، قال : نعم ، قال : فما تقول فى القرآن ؟ قال : مخلوق ، قال : هذا شىء عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه ؟ قال : علموه ولم يدعوا الناس إليه ، فقال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟ قال : ثم قام أبى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول : هذا شىء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الراشدون ، تعلمه أنت ؟ سبحان الله ! شىء عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه ، أفلا وسعك ما وسعهم ؟ ثم دعا عمارا الحاجب فأمره أن يرفع القيود عنه ويعطيه أربعمائة دينار ويأذن له فى الرجوع ، وسقط من عينه ابن أبى دواد ولم يمتحن بعد ذلك أحدا (٢)

وأورد الدميرى هذه الحكاية أيضا بطريقة أخرى قال :

قال المهتدى بالله : ما زلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبي دواد شيخا من أهل الشام من أهل أذنة ، فأدخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشبهة ، فرأيت الواثق قد استحي منه ورق له ، فما زال يذنبه ويقر به حتى قرب منه ، فسلم الشيخ بأحسن السلام ، ودعا بأبلغ الدعاء وأوجز ، فقال له الواثق : اجلس ، ثم قال له : يا شيخ ، ناظر ابن أبي دواد على ما يناظرك عليه ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إن ابن أبي دواد يقل ويصغرو يضعف عن المناظرة ، فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا ، فقال أبو عبد الله بن أبي دواد يقل ويصغرو يضعف عن مناظرتك أنت ! فقال الشيخ : هون عليك يا أمير المؤمنين مابك ، وأذن لى فى مناظرته ، فقال الواثق : مادعوتك إلا للمناظرة ، فقال الشيخ : يا أحمد ، لإلام دعوت الناس ودعوتى إليه ؟ فقال : إلى أن تقول القرآن مخلوق ؛ لأن كل شىء من دون الله مخلوق ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت أن تحفظ علىّ وعليه ما نقول ، قال : افعل ، فقال الشيخ : يا أحمد ، اخبرنى فى مقاتلتك هذه ، أواجبة داخله فى عقد الدين ، فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : يا أحمد اخبرنى عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله عز وجل ، هل ستر شيئا مما أمره الله فى دينه ؟ قال : لا . قال الشيخ : فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى مقاتلتك هذه ؟ فسكت ابن أبي دواد ، فقال له الشيخ : تكلم ، فسكت ، فالتفت الشيخ إلى الواثق ، وقال : يا أمير المؤمنين ، واحدة ، فقال الواثق : واحدة ، فقال الشيخ : يا أحمد اخبرنى عن آخر ما أنزل الله من القرآن على رسول الله ﷺ ، فقال : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» فقال الشيخ : أكان الله تبارك تعالي

الصادق في إكمال دينه . أم أنت الصادق في نقصانه ، فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه بمقاتلك هذه ؟ فسكت ابن أبي دواد ، فقال الشيخ : أجب يا أحمد فلم يجب ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، اثنان ، فقال الواثق : اثنان ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن مقاتلك هذه ، أعلمها رسول الله أم جهلها ، فقال ابن أبي دواد : علمها ، فقال الشيخ : أدعا الناس إليها ؟ فسكت ابن أبي دواد : فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ثلاث ، فقال الواثق : ثلاث ، فقال الشيخ : يا أحمد ، فاتسع لرسول الله كما زعمت فلم يطالب أمته بها ، قال : نعم ، فقال الشيخ : واتسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ، قال : نعم ، فأعرض عنه الشيخ وأقبل على الواثق وقال : يا أمير المؤمنين ، قد قدمت القول أن أحمد بقل ويضعف ويصغر عن المناظرة ، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلى فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك ، فقال الواثق : نعم اقطعوا قيد الشيخ ، فلما قطعوه ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه فجذبه الحداد إليه ، فقال الواثق : دع الشيخ ليأخذه ، فأخذه ووضع في كفه ، فسئل في ذلك ، فقال : لاني نويت أن أتقدم الى من أوصى إليه إذا أنامت أن يجعله بيني وبين كفى ، حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة ، وأقول : يارب ، سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي وأخواني بلا حق أو جب ذلك على وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكيت ، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله منه ، فقال الشيخ : والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله ﷺ إذ كنت رجلا من أهله . فقال له الواثق : أتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك ؟ قال : لا تحل لي ، أنا عنها غني وذو ثروة ، وسلم عليه الشيخ وخرج ، قال المهتدي بالله : فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم (١)

أحمد زكي صفوت